مدخل إلى التربية الخاصة

د/ إبراهيم عباس الزهيرى

أستاذ التربية المقارنة والإدارة التعليمية المساعد

كلية التربية – جامعة حلوان

مجلة رعاية وتنمية الطفولة – جامعة المنصورة
العدد (٢) – المجلد (١) – ٢٠٠٤م

مدخل إلى التربية الخاصة – ٢

مُقَدِّمَة

تعمل التربية على تهيئة الفرد الإنساني لكي يكون عنصراً فاعلاً في مجتمعه، محققاً لأغراضه وبما يعود على الفرد نفسه بالسعادة والرفاهية، والتربية الصحيحة هي التي تسعى بالعناية والرعاية لجميع أفراد المجتمع على حد سواء، ومن ثم يعمل المسئولون عن التربية على توفير العملية التعليمية والتربوية بكفاءة لتحقيق أغراضها.

واقع الإعاقات وتصنيفاتها:

بينما تشير إحصاءات اليونسكو إلى أن نسبة المعاقين من ذوي الاحتياجات الخاصة في أي مجتمع تصل إلى ١٢،١% فإن نسبة من تستوعبهم المؤسسات الخاصة في معظم بلدان العالم _عدا أمريكا ومعظم الدول الأوروبية– لا تتجاوز ٥% ، الأمر الذي يعنى أن حوالي ٩٥% منهم يفتقدون إلى الرعاية التربوية المنظمة ، كما أن قارتي آسيا وأفريقيا بهما حوالي ٨٠% من إجمالي المعاقين في العالم، ومع ذلك فإن نسبة ما يحظون منهم بخدمات تربوية وتعليمية خاصة لا تتعدى ١%.

وفي دراسة لليونيسيف (١) أوضحت أن الوطن العربى والذي يبلغ تعداد سكانه ٢٠٠ مليون نسمة بينهم ٩ مليون فرد معاق، منهم ٤٥% أطفال دون الخامسة عشرة، وعلى الصعيد المحلي يشير الاستدلال الإحصائي لدراسة الاتحاد العام لهيئات رعاية الفئات الخاصة والمعاقين عن نسبة شيوع الإعاقة الظاهرة في مصر ٢،٩٤٠،٠٠٠ فرد معاق من بين ٦ مليون معاق، يمثلون ١٠% من ٦٠ مليون نسمة طبقاً لإحصاء عام ١٩٩٥.

ومن حيث متغير التعليم أشارت الدراسة إلى أن:٦٠،٥% من المعاقين أمياً، ٢٩،٢% تعليم الأساسي، ٧،٥% تعليم متوسط، ٢،٨% تعليم عالي(٢) .

وانطلاقاً من وجود خصائص مختلفة من فئة لأخرى توجد تصنيفات متعددة نورد منها تصنيف كيرك Kirk (٣) الذي حددهم في الفئات التالية:

١- المشكلات التواصل (صعوبات التعليم والكلام)

٢- التخلف العقلي

٣- الإعاقة الحسية(البصرية والسمعية).

٤- الإعاقات البدنية والصحية.

٥- المشكلات السلوكية.

في حين تناولها Bryan and Bryan [٤] فيما يلي:

١- الإعاقة البصرية .

٢- الإعاقة السمعية.

٣- الإعاقة البدنية أو الصحية.

٤- صعوبات التعلم.

٥- المشكلات السلوكية.

٦- التخلف العقلي.

٧- الإعاقة المتعددة.

٨- الإعاقة التربوية .

٩- مشكلات اللغة و الكلام أوكليهما.

١٠- مشكلات النمو.

وفي ضوء التصنيفات السابقة تقدم الخدمات الخاصة إلى بعض هذه الفئات وفقاً لمدخل البيئة الخاصة Approach of Special Environmentالمتبنية لاستراتيجية العزل ، حيث يتم عزل الأطفال في ملاجئ أو مؤسسات أو مدارس خاصة بعيدا عن العاديين ، فيما يسمى بمدارس التربية الخاصة، والتي تهتم فقط بثلاثة إعاقات هي:

١- مدارس التربية الفكرية للمعاقين فكرياً.

٢- مدارس الأمل للصم وضعاف السمع.

٣- مدارس التربية البصرية للمكفوفين وضعاف البصر.

وقد اهتمت غالبية الدراسات والبحوث في مجال التربية الخاصة وخدماتها بدراسة المعاقين بمعزل عن غيرهم من الأسوياء ، والعمل فقط نحو إبراز

المقارنات التي تهدف إلى إثارة المشاعر السلبية لدى المعاقين وإظهارهم وكأنهم لا ينتمون إلى المتصل الإنساني، وقد رصدت هذه الدراسات العديد من عيوب استراتيجية العزل منها (٥) :

١-الآثار السلبية للنظام العزلي:

حيث تقوم على فصل الفرد المعاق وتنشئته بمنأى عن البيئة الاجتماعية العادية مما يؤثر على الحياة اليومية والتي تحول دون اكتسابه المهارات الاجتماعية اللازمة للتفاعل مع الآخرين مما يتعارض مع فلسفة التعليم من أنه إعداد الفرد للحياة والمجتمع.

٢- قصور الخدمات التربوية والتأهيلية والتفاوت في توزيعها:

وذلك لتمركز مؤسسات التربية الخاصة - لفئات خاصة معينة دون غيرها- في مناطق دون أخرى كالمدن وعواصم المحافظات.

٣- ارتفاع التكلفة الاقتصادية:

ترتفع التكلفة الاقتصادية لما تحتاجه مؤسسات التربية الخاصة وخدماتها إلى إقامة مباني ومرافق وتجهيزات مدرسية وإعداد معلمين وأخصائيين وفنيين وإداريين وهي ذات كلفة اقتصادية باهظة.

٤- عدم تكافؤ الفرص:

حيث يتم حرمان الطفل المعاق من الحقوق الأساسية التي يتمتع بها أقرانه العاديين، مثل اكتساب قدر من الاستقلالية وحقه في الاندماج في المجتمع والعيش وسط أسرته والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية.

الإرجونوميكا: مدخل لتربية ذوي الاحتياجات الخاصة

لقد ظهرت اهتمامات عالمية في هذا المجال الحياتي لهؤلاء الأطفال والتي ساعدت على تغيير أساليب تناول مشكلتهم في نظام حياتي جديد، ومن بين العلوم الجديدة التي تجعل البيئة البشرية والحياة الإنسانية ككل محوراً لدراستها وأبحاثها، علم الإرجونوميكا Er.Go.nom.ics والذي يتناول بالدراسة الطاقة والشغل في النشاط البشري والذي يعنى بتصميم العمل البشري وهندسته (٦) كما يدرس العلم

والبشر الذين يؤدونه والأساليب التي تؤدى بها والأماكن التي يتم فيها، أي أنه يعنى بهندسة البشر التي تعنى بتصميم بيئة العمل [٧]

وكذلك علم إعادة هندسة العمليات Business Process Re-engineering والذي يعنى بإيجاد بيئة تنظيمية خالية من الهياكل التنظيمية الرأسية واكتساب العاملين مهارات أكبر، وتصبح البني التنظيمية أكثر مرونة ويكون التركيز في تلك البيئة على العمل وليس الإدارة، وكذلك فإن إدراك كيفية العمل وإدارته في آن واحد بمثل هذه المؤسسات يعتبر مطلبا أساسيا لجنى ثمار إعادة هندسة العمليات في هذه المؤسسات الخاصة كمنظمات عمل[٨]

كما أن الإرجونوميكا أو هندسة البشر تشتمل على كل من الوقاية من الأمراض المهنية والمحافظة على الصحة، وأن الكثير من هذه الأمراض مرتبط بالتصميم السيئ للآلات والأدوات وأماكن العمل، وهنا تلعب الإرجونوميكا دوراً أساسياً في منع الأخطاء غير الضرورية والإصابات السافرة والمتراكمة بالإضافة إلى زيادة كفاءة العمل والإنتاجية بجعل الأداة أو الآلة مناسبة للمستخدم ولقدرات العامل، ومن هنا نستطيع أن نقلل من حدة مشكلة الإعاقة وتعددها [٩] ،مثل إصابات الظهر والمشكلات العضلهيكلية التي تؤثر على الرقبة والأطراف العليا والكتف ، والتي توصف عادة بأنها إصابات التوتر المتكرر RSI [١٠] .

كما أنها تبحث في عادات البشر وردود أفعالهم أثناء حياتهم المنزلية، وأن هدفها هو خلق أساس علمي يكون من شأنه جعل المباني والحجرات ومستلزماتها تتفق مع احتياجات الإنسان، من حيث الفراغات المطلوبة والأثاث والتركيبات، وكذلك الاحتياجات والظروف البيئية المحيطة كالإضاءة والضوضاء والمناخ داخل المنزل[١١].

إن دخول الإرجونوميكا Ergonomics أو الهندسة البشرية Human Engineeringإلى عالم الصناعة أدى إلى حماية صحة العامل وتوفير جهده ووقته والمحافظة على حواسه من الضياع أو الضعف وفي نفس الوقت تهيئة بيئة أكثر ملاءمة وأكثر أمناً وسلاماً وأقل تقييدا لذوى الاحتياجات الخاصة مما ينعكس على زيادة الإنتاجية لكل من العاديين والمعاقين [١٢] .

حيث تركز على العمليات البيولوجية والنفسية التي يمكننا عن طريقها تنظيم علاقات انسجامية مع بيئتنا، سواء منها الطبيعية أو الصناعية الآمنة أو المحفوفة بالمخاطر، وتطبق هذه المعرفة لتحسين التوافق بين البشر وما ينتجونه والأماكن التي يعيشون فيها[١٣].

موجهات الإرجونوميكا [١٤]:

يمكن تلخيص هذه الموجهات فيما يلي:

١- قدرة الإنسان على الإبصار أو الرؤية وحدودها.

٢- مدى سعة المجال البصري للفرد.

٣- القدرة على السمع، مدى دقتها ومعرفة أكبر واصغر مثير صوتي يتحمله الإنسان.

٤- القدرة على الكلام.

٥- القدرة على الحركة أثناء أداء العمل.

٦- القدرة على التحكم.

٧- مدى احتمال الفرد للتعب.

٨- القدرة على إدراك الحركة والزمن.

٩- ظروف العمل الفيزيقية كالإضاءة والتهوية والحرارة والبرودة والضوضاء.

ومن ثم تعتبر الإرجونوميكا التنمية الاجتماعية نشاطاً يهتم بكل التغيرات المنشودة لتحسين مستوى معيشة الأفراد عن طريق إشباع حاجاتهم الطبيعية والاجتماعية المشروعة، ويرجع ذلك إلى اعتبارها علم هندسة العلاقة بين الإنسان والبيئة، أو هندسة بناء الإنسان ثقافياً وفقاً لمعطيات البيئة ومتغيراتها، ومن هنا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظم تفاعلات البشر وأنماطهم،ولعل من أهم الأمثلة التطبيقية لمفهوم الإرجونوميكا في التربية الخاصة ما يتم في مركز رعاية وتنمية الطفولة بجامعة المنصورة ، حيث يتم توفير الدمج الوجداني للأطفال المعاقين ، وتوفير بيئة اجتماعية غنية بالمؤثرات الوجدانية التي تقلل من شعور هؤلاء الفئات بآثار الإحساس بالإعاقة ، ومن ثم تهيئتهم للاندماج المستقبلي في المجتمع .

الإرجونوميكا واستراتيجية الدمج:

إذا كانت الإرجونوميكا تمثل مجالاً علمياً يضع في الاعتبار تحسين الإنتاجية، والصحة والسلامة، وراحة جموع الناس حسبما يكون التفاعل المؤثر بينهم والتقنيات التي يستعملونها والبيئة التي يوجدون فيها، ولما كان الاهتمام بالأطفال المعاقين والعناية بهم يمثل احد المقاييس التي توضح مدى تقدم الأمم وتحضرها، حيث استأثر الاهتمام بالمعاقين جهوداً كبيرة من الحكومات والهيئات والعلماء ونشطت البحوث والدراسات التي اهتمت بهم ورعايتهم، كذلك دراسة اتجاهات أفراد المجتمع نحوهم، فإن أي إعداد للأفراد لا يأخذ في اعتباره توجيههم للتكيف والانسجام مع البيئة التي يعيشون فيها، ويهيئ لهم فرص الكشف عن العلاقات المتبادلة والروابط القائمة بينهم والظواهر المحيطة بهم، يعد إعداداً ناقصاً وبعيداً عن الاتجاهات التربوية السليمة.

وذلك لأن الهدف من استغلال البيئة في التنشئة التربوية فيه تحلل من الخطأ الذي تقع فيه استراتيجية العزل للفئات الخاصة في إيجاد مجتمع داخل المدرسة منعزل عن الأحداث الاجتماعية التي تؤثر في حياة أفراد المجتمع والذي يجب أن تتناوله التربية الحديثة بالدراسة والنقد والتوجيه لأنها تتولى إعداد أفراد للتكيف معه.

ويرجع ذلك إلى أن المتغيرات البيئية والتقارب المكاني يلعبان دوراً مهماً في تكوين العلاقات الإيجابية بين الأفراد، العاديين منهم وغير العاديين[١٥].

وقد شددت نظرية الثقافة الاجتماعية على دور البيئة في تعليم البشر، وثبت أن تدعيم أداء التلاميذ المعاقين داخل بيئة ذات أصالة ومثيرة يسهم في زيادة نشاطهم والقيام بأدوار التفاعل وتحمل الكثير من المشاق والمشاركة في إنجاز الأعمال العليا[١٦] بما يتمشى مع الفكر الإرجونومي الذي ينظر إلى الإرجونوميكا على أنها هندسة للنشاط البشري، ويؤكد على دور معطيات البيئة البشرية بجانب البيئة المادية.

ولما كان الإنسان يندرج ضمن العمل التربوي ككل متكامل بكافة جوانب تكوينه فاعل ومتفاعل، مؤثر ومتأثر مع المواقف المتنوعة، فإن الممارسات التربوية يجب أن تراعي التداخل التأثيري بين الجوانب المتكاملة لتكوين البيئة البشرية فردياً من الناحية الجسمية والعقلية والوجدانية، واجتماعياً من ناحية علاقاته بالأفراد الآخرين(١٧).

لذلك فإن تقدم الطفل المعاق وتحسن أدائه، هو محصلة تفاعله مع متغيرات بيئته، وأن مدى نجاح ما يحققه هذا الطفل لا يتوقف فقط على خصائصه الذاتية بل يتوقف أيضا على نوعية البيئة التعليمية التي تتوفر له.حيث تعتبر العلاقات الاجتماعية في ضوء الإرجونوميكا أنواع من التفاعل المتبادل بين الأفراد، وحيث يكون للفرد حرية ودرجة ما من درجات السلطة والضبط، والضبط هنا لا يتعلق بعملية الاختيار ولكن بكيفية إقامة العلاقات أيضاً، وعادة ما ينشأ الصراع عندما يوجد اختلاف بين ما يحتاجه الفرد أو ما يريده وبين ما يحصل عليه.

فالإنسان يحتاج دائماً إلى آخر على الأقل لكي يقوم بعمله بصورة ملائمة، ويعد السلوك الاجتماعي الهدف الأساسي لعملية التنشئة الاجتماعية ذلك أن تعامل الكائن البشري مع بيئته يعتمد في معظمه على أساليب متعلمة وهذه الأساليب لا يكتسبها الفرد إلا من خلال التنشئة الاجتماعية، ويعد النجاح في اكتساب الأساليب والعادات والتقاليد الاجتماعية السليمة دليلاً على التوافق والتفاعل مع البيئة بنجاح.

وينمو السلوك الاجتماعي للطفل المعوق في مرحلة الطفولة المبكرة خلال تفاعله مع مواقف حياته وصحبته للآخرين وخلال رغبته في أن ينال رضا الغير وتقديرهم له، وتعتبر مرحلة الطفولة الوسطى مرحلة إعادة تصحيح النمو وهي من الأهمية بمكان بالنسبة لمستقبل الطفل الاجتماعي، أما الطفولة المتأخرة فيميل الطفل المعاق إلى الاندماج في مجموعة مع أقرانه والانتماء إليها والتعاون معها (١٨).

وقد كشفت نتائج العديد من الدراسات أن إدماج المعاقين في فصول العاديين مع إمدادهم بالخدمات الخاصة كأساليب التعليم الفردي، وغرفة المصادر له آثاره الإيجابية في مستوى تحصيلهم الدراسي.

كما تشير الدراسات الحديثة إلى أن نسبة عالية من الفئات الخاصة يمكن أن تقدم لهم الخدمات التربوية والتعليمية داخل المدارس العادية إذا ما توافرت إمكانيات مساعدتهم لفترات زمنية محددة من قبل معلمين متخصصين، بل إن تقديم هذه الخدمات لهم داخل المدارس العادية يسهم في تحسين أداءهم الأكاديمي وزيادة قدراتهم على التكيف الاجتماعي وتعزيز مفهومهم لذواتهم.

هذا بالإضافة إلى أن الإدماج يؤدى إلى إكسابهم أنماط سلوكية إيجابية كالضبط الذاتي والتزام الهدوء والانتباه والتفاعل الاجتماعي.

وتتيح هذه الاستراتيجية فرص الاحتكاك المباشر والتواصل بين الفئات الخاصة وأقرانهم العاديين في بيئة اجتماعية واقعية وطبيعية من خلال المشاركة في الأنشطة المختلفة داخل الفصل وخارجه مما يسهم في زيادة التعارف بينهم والفهم الأفضل من قبل كل طرف وإمكانيات الطرف الآخر وبلورة أفكار ومفاهيم واقعية صحيحة عن جوانب قوته وضعفه، كما يؤدى إلى تحسين اتجاهات العاديين نحو المعاقين وزيادة تقبلهم لهم والتخلص من المفاهيم الخاطئة عنهم.

الأمر الذي يتلاءم مع مفهوم الإرجونوميكا، حيث تتيح هذه الاستراتيجية للمعاقين ملاحظة سلوك أقرانهم العاديين في المواقف الأكاديمية والاجتماعية عن قرب وتمكنهم من محاكاتهم وتقليدهم والتعلم منهم وييسر لهم ذلك فرص معايشة خبرات واقعية متنوعة والتعامل مع مشكلات مختلفة، ومن ثم تكوين مفاهيم أكثر واقعية عن أنفسهم وعن الحياة والعالم الذي يعيشون فيه.

المراجع:

١- على عبده محمود:نحو طفولة غير معوقة(عن طريق الاحتياطات الضرورية لمنع حوادث المنازل والطرق) المؤتمر السنوي الخامس لاتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعاقين (نحو طفولة غير معوقة) ١٩٩٠ ص ٤٨.

٢- يوسف صلاح الدين قطب وآخرون: حجم مشكلة المعوقين في مصر، ندوة اتحاد هيئات الفئات الخاصة والمعوقين، ١٦ ديسمبر ١٩٩٧، ص ص ١٧-١٨.

3- Samuel Kirk: Education Exceptional Children, Boston Houghton Mifflin, Co.1972, p.11.

4- 4-James Bryan and Bryan: Exceptional Children (Sherman Oaks X.A. :Alpred Publishing)N.J.1979,p.113.

٥- عبد المطلب القريطي:سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٦،ص ص ٥٣-٦٥.

٦- ستيفن فيزانتStephen Pheasant (ترجمة:محمد أمين سليمان)الإرجونوميكا أو هندسة البشر، (تصميم العمل)، مجلة العلم والمجتمع، العدد ١٩٥، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، ١٩٩٢، ص٤.

٧- آلان هيدج: Alan Hedge(ترجمة: ليلى سعدو بالومال): إرجونوميكا البيئة: دراسة بيئة العمل البشري، مجلة العلم والمجتمع، العدد ١٩٥، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٥٣-٥٤.

٨- مايكل هامر،جيمس شامبي (ترجمة :شمس الدين عثمان):إعادة هندسة نظم العمل في المنظمات"الهندرة" ، الشركة العربية للإنتاج العلمي"شعاع"، القاهرة ١٩٩٥، ص ص ١٧٠-١٧١.

٩- تشون نام أونج:Choon Nam Ong (ترجمة محمد أمين سليمان): الإرجونوميكا المهنية والصحة،مجلة العلم والمجتمع، العدد ١٩٥، مركز مطبوعات اليونسكو ، القاهرة،١٩٩٢.

١٠- ستيفن فيزانت Stephen Pheasant: مرجع سابق.

١١- يانج جونج زيا:Yang Gong Xia(ترجمة: ليلى سعدو بالومال) الإرجونوميكا المنزلية، مجلة العلم والمجتمع، العدد ١٩٥، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، ١٩٩٢.

١٢-عبد الرحمن عيسوي: الكفاءة الإنتاجية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٥٥.

١٣- آلان هيدج: Alan Hedge: مرجع سابق.

١٤-عبد الرحمن عيسوي: مرجع سابق، ص ٥٣.

15-Sears, D.O.,Pepalu, L.A.,Taylor, S. E.,:Social Psychology :6th. Ed. New Jersey, Prentice Hall 1991, p.283.

16-Baron .R. A. of Baron .D.: Social Psychology: Understanding Human Interaction ,6th. Ed. Boston ,Allyn F.Bacon.1991,pp.224-229.

١٧- إبراهيم الزهيري: (تقديم : أحمد إسماعيل حجي): تربية المعاقين والموهوبين ونظم تعليمهم. إطار فلسفي وخبرات عالمية، القاهرة، دار الفكر العربي ٢٠٠٣.

١٨- محمد سيد فهمي:السلوك الاجتماعي للمعوقين،دار المعرفة الجامعية ،الأسكندرية،١٩٩١،ص ص ١٤٥-١٤٧.